مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (3)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (3) 2018

إرادة النسيان: اللغة والتاريخ عند بول ريكور

الدكتور منذر شباني *

(تاريخ الإيداع 7 / 5 / 2018. قبل للنشر في 6 / 6 / 2018)

□ ملخّص □

يناقش هذا البحث رؤية ريكور لمسألة إرادة النسيان، وقدرة الذاكرة على تجاوز فكرة تمثيل الماضي. والبحث فيها بوصفها مشروعاً للمستقبل. المستقبل الذي يتيح للإنسان التذكر والنسيان، الصفح والعفو. كل ذلك يتم تحت ما أسماه ريكور" باالأنا القادر". وتالياً، من أجل الوصول إلى ذاكرة سعيدة حيث النسيان صورة من صور هذه الذاكرة. انطلاقاً من ذلك يعرض البحث بداية العلاقة بين التاريخ والذاكرة من حيث هي علاقة تداخل وتشابك كما رأى ريكور. ثم يناقش البحث علاقة الذاكرة باللغة، من خلال وساطتها السردية. فالسرد بحسب ريكور وسيلة يستخدمها الناس للتعبير عن تجربة عدم نسيانهم للماضي، وأن عليهم أن يعيدوا الماضي للحياة من خلال إعادة تشريعه في القصص. ومن ثم البحث في فكرة إرادة النسيان، والعلاقة التي تربط النسيان بالذاكرة، والتي تظهر عند ريكور بكونها علاقة تكاملية؛ بمعنى لا نسيان من دون تذكر، ولا تذكر من دون نسيان، وبالرغم من ذلك فالذاكرة تبقى في حيرة كما يرى ريكور. بمعنى أخر، تحتار في أي تاريخ تستعيد وتتملك من جديد، وأي تاريخ تنسى. الأمر الذي اقتضى البحث في الذاكرة بوصفها مشروعاً للمستقبل كما أكد ريكور. ليخلص هذا البحث إلى نتائج أردناها مكثفة حول روية ريكور لهذه المسألة.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة، الذكرى، النسيان، التاريخ، اللغة، الماضي، المستقبل.

* **أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (3)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (3) 2018

The Willingness to forget; Language and history in poul Ricoure

Dr. Monzer Shbani*

(Received 7 / 5 / 2018. Accepted 6 / 6 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research Tackles Ricour's perspective of the willingness to forget and the ability of memoey to step ahead the idea if past representation and looking into it as it is one future project. This future which enables humans to recall and forget, forgive and tolerate .all of this is done under what's called by Ricour" the able ego". Afterwards, it reaches a happy memory where by forgetfulness is one image out of many stored in the memory. According to this, the research discusses the beginning of relation ship between history and memory as it is perceived by Ricour, one of interrelation then it discusses the relation of memory and language via its narratives. Narrative, according to Ricour, is means which people use to express their unforgettable past experience, that they need to resurrect the past via narrating and legislating it in stories. Then, it proceeds to handle the idea of willingness to forget and the relation which links forgetfulness to memory, which is one holistic relation, according to Ricour. This means that there is no forgetfulness without recalling and vice versa. Despit that, as perceived by Ricour, memory has always been living in confusion/ hesitation. In other word, you hesitate as to what to recall and what to forget. This has forced or led this research of memory as it is one future project as Ricour assures.it finally concludes with some findings that we sought to have in regards to Ricour's perspective regarding this issus.

Key Words: .memory, Remembrance, forgetfulness, History, Language ,past , Future.

***Associate Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria .**

مقدمة:

يبدو أن النسيان والتذكر نشاطات تلقائية تصيب الإنسان. وفي هذه الحالة تعد حتمية، ومن غير الممكن التحكم بها. وعلى هذا الأساس فقد جرت العادة على وصف الذاكرة بأنها تمثيل للماضي. وبذلك تعد مجهوداً للاستذكار كما أكد أرسطو. هذا المجهود ينبغي أن يكون نضالاً ضد النسيان. النسيان الذي دأب التاريخ الفلسفي منذ أفلاطون على الحط من شأنه، والنظر إليه على أنه نتيجة الجهل، وتالياً، فهو يشكل عائقاً أمام المعرفة التي هي الذاكرة كما أكد افلاطون. وهنا على الرغم من أن ريكور قد أدرك ـ على عكس افلاطون ـ الجانب المعرفي للنسيان. فهو لم يتصور النسيان على أنه جهلاً بحد ذاته. فقد شدد ريكور على أنه ينبغي عدم الخوف من النسيان، الذي أخذ مع ريكور شكل المسؤولية.

وهنا نرى أن جهد الإنسان في محاولة تذكر الأحداث المفرحة، وفي المقابل محاولته أن ينسى الأحداث المؤلمة والحزينة، هو من أجل الوصول إلى ذاكرة سعيدة. هذه الذاكرة التي يتحدث عنها ريكور بوصفها مشروعاً للمستقبل. ذاكرة تمتلك الإرادة؛ أي ذاكرة للإرادة، فعوضاً عن أن يظل الإنسان حبيساً لإرادة الذاكرة. عليه أن يفتح المجال لإرادة النسيان، هذه الإرادة التي تشترك عند ريكور مع فينومينولوجيا الإنسان القادر" الأنا القادر". هذه الأنا التي تستطيع الصفح، والعفو، لكن دون أن تنسى. وهنا يشدد ريكور على مفهوم المسؤولية التي تطال النسيان كما الذاكرة، أي مسؤولية ماذا يجب على الإنسان أن ينسى، وماذا عليه أن يتذكر. وبشكل أدق، يبرهن ريكور على أن النسيان قوة متأصلة في قدرة تشكيل إنسان أو شعب أو ثقافة. ويعني ريكور بذلك قدرة الإنسان على تنمية نفسه على نحو متميز، محولاً ومدمجاً كل ما هو ماضي وغريب، على تضميد الجراح وعلى استبدال ما ضاع، وجبر ما كسر من ذاته؛ أي ذات الإنسان.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من أنه يطرق موضوعاً تهتم به علوم شتى، منها علم النفس والتحليل النفسي. وتالياً، يتشابك هذا البحث ويلتقي مع حقول علمية مختلفة مع أنه في الوقت نفسه يعالج النسيان معالجة فلسفية من خلال واحد من أهم فلاسفة التأويل والهرمينوطيقيا؛ أي بول ريكور.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن المضامين الجديدة لمفهوم النسيان كحالة ترافق كل العمليات المعرفية عند الإنسان من جهة أولى، ومن جهة أخرى يهدف البحث إلى التدقيق في الفهم الفلسفي والتاريخي للنسيان أكثر منه فقط في الفهم النفسي، ويهدف أخيراً إلى البحث في علاقة النسيان باللغة، ودور الذاكرة في إحياء اللغة عن طريق السرد.

منهجية البحث:

يبدو منهج التحليل اللغوي النصي منهجاً مناسباً إلى حد كبير للبحث والتقصي فيما نحن مقبلون عليه، خصوصاً وأن مفهوم النسيان في بحثنا هذا يتم تناوله بعيداً عن أشكال البحث الكلاسيكية في الفلسفة، وإنما من خلال النظر إليه بوصفه قوة قادرة على البحث في الذاكرة باعتبارها مشروعا يرسم المستقبل.

النتائج والمناقشة:

أولا: الذاكرة والتاريخ:

يحتل البحث في مسألة الفاعل الحقيقي لعمليات الذاكرة في الفكر المعاصر المقام الأول من بين المسائل الفلسفية التي أعاد هذا الفكر طرحها في ضوء المفاهيم الجديدة لفكر ما بعد الحداثة، والمتمثل في إعادة البحث عن الدلالات اللغوية والهرميونطيقة والتأويلية لمختلف هذه المسائل. حيث إن المسألة الأساسية في معالجة ريكور لمفهوم الذاكرة هو إخراجنا من الأطر التقليدية التي تطرح دائماً؛ والمتمثلة في السؤال التالي: هل الذاكرة هي بشكلها الرئيسي شخصية أو جماعية؟"[1]. ليحيلنا إلى صيغة أخرى للسؤال هو كالتالي:" لمن علينا أن ننسب شرعاً ال pathos(التأثر، الانفعال) الآتي من تلقي الذكرى وال praxis (الفعل، الممارسة) في البحث عن الذكرى"[2]. من هذا السؤال يجد ريكور إن مفهوم الذاكرة يمثل جوهر الوجود الإنساني؛ فالكوجيتو الريكوري القائل:" أنا أتذكر، فإذن أنا موجود" [3] يؤكد علاقة الذاكرة بالوجود. أي، يؤكد على الطابع الوجودي للذاكرة. ومن ثم فهذا المفهوم، أي الذاكرة، خاضع لأمرين أساسيين وهما: الذاكرة الشخصية والذاكرة الجماعية. و هنا يميز ريكور بين مفهوم الذاكرة وموضوع الذاكرة. من حيث إن موضوع الذاكرة هو الأنا بصيغة المتكلم المفرد، ومفهوم الذاكرة الذي هو على علاقة بالتاريخ، وبالذاكرة الجماعية. واستناداً إلى ذلك فإن للذاكرة وظيفتين بحسب ريكور" فهي تضمن الاستمرارية الزمنية، بالسماح بالتنقل عبر خط الزمن؛ وتتيح التعرف على الذات والنطق بكلمتي "أنا" و "لي". أما التاريخ فهو يحمل شيئاً آخر غير الإحساس بالانتماء لنفس حقل الوعي الزمني، من خلال لجوئه إلى وثائق محفوظة في دعائم مادية؛ وهذا ما يسمح بالحكي بصورة مغايرة، والحكي انطلاقاً من وجهة نظر الأخرين"[4].

فالذاكرة وفقاً لتلك الوظيفة المسندة إليها تعد الحافظة الأولى للتاريخ. وهذا يعني أن الذاكرة هي ذلك اللغز الذي لا يتوقف عن الحضور دائماً، فلغز الذاكرة كما يذهب ريكور هو "في هذا الأثر المحفوظ والمنقوش الذي يبقى فيصبح الماضي معه هو حاضر، ولكنه حاضر الآن كماضي انقضى ولم يعد" [5]. مما يشير إلى أن هذه الذاكرة تحتفظ بصورة تجعل من الماضي حياً في الحاضر. وتالياً، يميز ريكور بين مفهوم الذاكرة وبين فعل الذاكرة، من حيث إن الأخيرة تتضمن الذكرى" التي تعود كصورة وليس كإشارة عن ذاتها بل عن شيء آخر غائب، كأثر باقٍ لأمر ليس حاضراً"[6]. ونحن هنا عندما نتحدث عن الذكرى، فإننا نتحدث عن أمرٍ مهمٍ بالنسبة للتجربة الإنسانية، فالذكرى هنا لا تنتمي إلى الإنسان وحده، بل إن هناك ذكريات مشتركة مع الآخرين، وهنا يتحدث ريكور عن الذاكرة الجماعية. وفي هذا الصدد يقول:" كل مجموعة تشترك في ذكريات تتداخل فيما بينها كما تتداخل القصص التي نرويها عن أنفسنا فهي قد تخصنا، وقد تخص آخرين بعيدين عنا. إن مصير الذاكرة هي ألا تبقى خاصة بواحد فقط" [7]. والذاكرة هنا هي التي تقودنا مباشرة إلى التاريخ. وتالياً، تتيح التفاعل المستمر والمتواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل. إذ يذهب ريكور عندما يتحدث عن العلاقة بين الذاكرة والتاريخ إلى القول:" إن الذاكرة تقودنا مباشرة إلى التاريخ، لأنها هي الحاملة الأولى للتاريخ ولولاها لما كان هناك من علم لكتابة التاريخ، إذ إن المصدر الأول لمعلومات المؤرخ هو الشهادة، شهادة

---

[1] - ريكور، بول. *الذاكرة، التاريخ، النسيان*. ط1، ت: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2009، ص. 152.
[2] - المصدر نفسه، ص. 152.
[3] - المصدر نفسه، ص .15.
[4] - ريكور، بول. *الاعتقاد والانتقاد* ، ط1، ت: حسن العمراني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، 2011، ص.40.
[5] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان.(مصدر سبق ذكره)،ص. 15.
[6] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان.(مصدر سبق ذكره)،ص. 15.
[7] - المصدر نفسه، ص. 16.

أولئك الذين حضروا الحدث، الشاهد سيقول صدقوني إن شئتم أو إن لم تشاؤوا فإني كنت هناك" [1] وفي هذه النقطة بالذات نقترب هنا من نوع من أرشفة للشهادات بعد تسجليها وبذلك يأتي دور المؤرخ في استجواب ما تم تدوينه، وهنا تدخل الذاكرة في عالم الصراعات بحيث إن عملية تملك الأحداث أو حتى استعادتها يصطدم بحسب ريكور" بالوضع البشري وبالتاريخ الشقي وبالذاكرة المعذبة" [2]. من حيث أن الذاكرة تحفظ الماضي، والتاريخ يحفظ أحداث الماضي. والحال إن عملية الحفظ هذه تضع الذاكرة تحت ثقل المعاناة والآلام التي تمارس دورها في حياة الإنسان وتجربته. وعلى الطرف الآخر من هذا الرأي يرى ريكور أنه إذا كانت الذاكرة من وجهة نظر التاريخ في صراع أولاً بين الإنسان وذكرياته، وبين الشهود والمؤرخ الذي يحاول أن يعيد إلى المجموعة تصوراً أو تمثيلاً حقيقياً للماضي ثانياً، فإن التاريخ بحسب ريكور" يحاول أن ينقذ الذاكرة من النسيان وأن يُعلمها حقيقة الإنسان كما تبدت في الماضي" [3]. ولكن ليس النسيان بمعنى النسيان أي الضياع، بل كما يرى ريكور " النسيان الذي يقول لنا أية ذاكرة تستحق أن نحتفل بها وأية ذاكرة علينا أن نتركها تذهب بسلام ليلُفَّها النسيان ببلسمه"[4]. وهنا يلجأ ريكور إلى ابستمولوجيا التاريخ؛ فهو قد حاول في في كتابه الذاكرة، التاريخ، النسيان العودة إلى ابستمولوجيا هذا العلم، أي التاريخ، واستعراض المدارس الحديثة التي قلبت العديد من مفاهيم كتابة التاريخ، وعلى رأسها مدرسة الحوليات الفرنسية" [5]، وبعد ذلك يذهب ريكور ليؤكد على مسألة جوهرية من حيث إن الذاكرة تقع تحت مقولة "بما هي ذاكرة متدربة ومتمرنة" [6]. وبهذا المعنى يرى ريكور إن المراحل التي يقوم عليها العمل التاريخي والمتمثل في الانتقال من" مرحلة الشهادة والمحفوظات، إلى مرحلة استعمال التعبير ـ لأن ـ في كل صور التفسير والفهم، وهو ينتهي على المستوى الكتابي للتمثيل التاريخي للماضي" [7]. يمكن أن تخضع لاستعمال وسوء استعمال الذاكرة، فلاحظ أن هناك مستويات لاستعمال وسوء استعمال الذاكرة. لذلك عمل ريكور على تصنيف نمطي لهذه المستويات، إذ رأى أنه لا يمكن الحديث عن نمط واحد للذاكرة؛ أي أن الذاكرة ليست ذاكرة واحدة؛ بل هنالك مستويات للذاكرة، تساهم جميعها في العلاقة بين الذاكرة والتاريخ. وفي هذا الصدد فقد حدد ريكور ثلاث مستويات للذاكرة، هي كالتالي:

المستوى الأول: ويتعلق بالمستوى المرضي ـ العلاجي، وقد أطلق ريكور عليها اسم الذاكرة المُعاقة؛ أي الذاكرة المريضة والجريحة، ويظهر هذا المستوى من الذاكرة نتيجة الاضطرابات التي تحدث في الذاكرة، والتي تسبب لها المآسي والحداد. وضمن هذا المستوى يميز ريكور بين الذكرى والتكرار. فإذا كانا اجتمعا في الظاهر وكانا متعاكسين في الطريق والاتجاه. فالذكرى مناسبة تعيسة لما تحمله من تجريد إلى زمانها الذي انقضى، وتالياً ترتبط بالحزن من حيث موضوعها. ومن حيث عمل معالجتها. في حين أن التكرار يمثل الرغبة في الاستمرار ومحاولة زرع آمال التقدم نحو السعادة. إذ يقول ريكور في هذا الصدد" بما يخص العبور من التكرار إلى الذكرى، إن الذكرى لا تختص فقط بالزمان. إنها تطلب كذلك وقتاً ـ وقت الحزن "[8]، أما بخصوص مقاربتهما، فإن ريكور يضيف قائلاً: " يمكن مقاربة عمل معالجة الحزن بعمل الذكرى"[9] في حين يرتبط التكرار عند ريكور بعمل إعادة التذكر، وكلمة عمل هنا تحتل مركزاً

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص. 16.
[2] ـ المصدر نفسه، ص. 18.
[3] ـ المصدر نفسه ص. 18.
[4] ـ المصدر نفسه ص. 15.
[5] ـ المصدر نفسه ص. 13.
[6] ـ المصدر نفسه، ص. 120.
[7] ـ المصدر نفسه ص. 28.
[8] ـ ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)،ص. 127.
[9] ـ المصدر نفسه، ص. 125.

مركزاً استراتيجياً في التفكير حول خيانات الذاكرة، بل أكثر من ذلك يذهب ريكور إلى التأكيد على أن عملية الإعادة تتعارض مع الالزام كما يتعارض الحزن مع الكآبة *.بحيث تغدو هذه الذاكرة الجريحة مضطرة دائماً عند الخسائر أن تواجه نفسها. من حيث، ارتباط الحزن بإعادة التذكر.

وإذا كان المستوى الأول الذي أتينا عليه حتى الآن، متعلق بالحزن وحالة الحداد التي تحدث للذاكرة نتيجة الذكريات المؤلمة التي يعاد تكرارها وتذكرها، فإن المستوى الثاني: يمثل المستوى العملاني الحقيقي؛ وهو هنا يتمثل في الذاكرة المنحرفة التي تتعرض للتلاعب، من حيث إنها تستخدم كأداة. وفي هذا المستوى تتقاطع إشكالية الذاكرة مع إشكالية الهوية، سواء أكانت الهوية الشخصية أو الجماعية. حيث إن الذاكرة هنا تمتلك حيزاً كبيراً داخل مفهوم الهوية؛ لا بل أكثر من ذلك فقد اعتبرت" الذاكرة معيار للهوية" [1]. أي إنها تأخذ دور الأداة والاتصال معاً. وفي هذه الحالة تنشأ الانحرافات بحيث" نعرف بعض عوارضها المقلقة: الافراط في الذاكرة في منطقة معينة من العالم، وبالتالي هناك سوء استعمال للنسيان"[2]. وهنا يحاول ريكور تحليل الهشاشة التي تصيب الذاكرة المتلاعب بها، ويتساءل عن السبب الذي يكمن وراء هذه الهشاشة، فيرى إن الأمر يتعلق في" الإجابات عن السؤال" من؟"، و" من أنا؟" وهي إجابات على شكل "ماذا؟"، بالصيغة التالية: هذا نحن، نحن المختلفين عن الآخرين" هكذا" نحن، هذا مانحن عليه وليس غير ذلك" [3]؛ أي بعبارة أخرى، يذهب ريكور إلى تأكيد العلاقة التي تربط التاريخ من جهة أولى، بالذاكرة والهوية من جهة أخرى بما يسمح بهشاشة الهوية، حيث يؤكد ريكور على " أن هشاشة الهوية تكمن في هذه الإجابات بشكل" ماذا؟" التي تدعي إعطاء وصفة الهوية المُعلنة والمُطالب بها. إن المشكلة تنتقل بهذه الطريقة إلى درجة أعلى حين تتحول من هشاشة الذاكرة إلى هشاشة الهوية" [4] فهشاشة الهوية عند ريكور أيضا ترتبط بثلاثة أسباب. ويتحدد السبب الأول من خلال علاقة الهوية بالزمن. فالهوية بحسب ريكور لا تبقى هي ذاتها عبر الزمن وهنا يبرز "الصراع ليس كمجرد لحظة عبور بين السابق واللاحق، وإنما كما تخيلته حنة ارندت كفجوة بين الماضي والمستقبل" [5] حيث إن ريكور في كتابه الذات عينها كآخر يذهب إلى التمييز داخل افهوم الهوية بين معنين" بين ما هو عيني وما هو ذاتي" [6] بين معنى خاضع للتغير والتنوع وعدم الاستقرار، وآخر يتصف بالثبات، أي بمعنى آخر. التمييز بين هوية ثابتة ومتكررة تكون امتدادا لهوية تناسلية عرقية هذا من جهة، ومن جهة أخرى تكون قادرة على نحت هوية فردية تكون حرة وذلك من خلال علاقتها بالأخر، وباللغة، وبمختلف أشكال التواصل. ليصل ريكور بعد هذا التمييز كما يقول في كتابه الذاكرة، التاريخ، النسيان إلى أن" استمرارية الذات في الزمن تستند إلى لعبة معقدة بين العينية(ما هو عيني) والذاتية(ما هو ذاتي). أما السبب الثاني لهذه الهشاشة فيحدده ريكور في العلاقة مع الغير، والذي هو بمثابة التهديد المباشر لهويتنا" [7]. وهذا المفهوم العلائقي للهوية مع الآخر يجعل هويتنا هشة" إلى درجة أنها لا تعود تستطيع أن تحتمل أو أن تقبل أن يكون لآخرين طرق مختلفة عن طرقنا لعيش حياتهم وللتفاهم فيما بينهم وتسجيل هويتهم الخاصة في مسار العيش ـ معاً" [8].

*** يعرف ريكور الحزن بأنه ردة فعل على خسارة حبيب أو تجريد رفع إلى منزلة بديل لهذا الحبيب، كما هو الحال مع الوطن أو الحرية أو المثل الأعلى.. الخ في حين إن الكآبة فيها نوع من انخفاض الشعور بالذات(ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان، ص. 124).**

[1] ـ المصدر نفسه ص. 136.

[2] ـالمصدر نفسه، ص. 137.

[3] ـ المصدر نفسه، ص. 137.

[4] ـ ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)،ص. 137.

[5] ـ مجموعة من الباحثين. مجلة يتفكرون، العدد4، 2014، ص66

[6] ـ الذات عينها كأخر، ص294

[7] ـ ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص. 138. بتصرف

[8] ـ المصدر نفسه، ص. 138.

فالعلاقة مع الآخر تسمح لهوية الفرد بالتشظي والتغير تبعاً للثقافات المختلفة بين الأنا والأخر، أي بمعنى آخر، تقع تحت ضربات الغيرية التي هي بحسب ريكور" لا تلقى التسامح الواجب، هي التي تغير العلاقة التي تقيمها الذات عينها بالأخرين من علاقة ترحاب إلى علاقة رفض واقصاء" [1].في حين يتحدد السبب الثالث للهشاشة عند ريكور بما يسميه " بإرث العنف المؤسس" [2] وهنا يؤكد ريكور على علاقة الهوية بالعنف؛ من حيث إن وجود كل المجموعات التاريخية ولدت من علاقة أصيلة بالحرب، وفي هذه الحالة يربط ريكور بين الأحداث العنيفة التي اكتسبت شرعيتها بعد وقوعها عن طريق دولة القانون والذاكرة من حيث إن" الأحداث تعني للبعض المجد في حين إنها تعني للبعض الآخر المذلة" [3]. المذلة"[3]. فالاحتفال والمجد من جهة يقابله العنف والالم والكراهية من جهة أخرى. وهكذا " تخزن في أرشيف الذاكرة الجماعية جروح حقيقية ورمزية" [4]. وعند هذه النقطة بالذات، يرى ريكور أن السبب الثالث لهشاشة الهوية يذوب ضمن السبب الثاني. وهنا فإن اندماج هوية الفرد بالغير يمكن أن يدخل ضمن مفهوم الايديولوجيا. بحيث تصبح هذه الاخيرة، أي الايديولوجيا، بحسب ريكور " حارسة للهوية لأنها تقدم لنا رداً رمزياً على أسباب هشاشة هذه الهوية" [5]. وضمن هذا السياق، فإن مفهوم الذاكرة المتلاعب بها بما هي مرتبطة بالايديولوجيا، " تدور في نهاية المطاف، حول السلطة" [6] هذه السلطة التي تتضمن بشكل أو باخر، الطاعة، وفي هذا الصدد يقول ريكور" إن السلطة تُعرف هكذا لأنها حكم شرعي من حقه أن يُطاع" [7]. ومن جهة أخرى فأن أدلجة الذاكرة يدخل ضمن تكوين الهوية من خلال الوظيفة السردية التي يمكن للفرد من خلالها ممارسة وظيفة انتقائية للذاكرة، والتي تقدم لعملية التلاعب الفرصة والوسيلة لتحقيق استراتيجية ماكرة، حول إعادة التذكر وهنا يرى ريكور أنه في "هذا المستوى الذي تعمل فيه الايديولوجيا كخطاب تبريري للسلطة والسيطرة وفيه، نجد كل موارد التلاعب التي تقدمها القصة، وقد حُشدت بأكملها" [8]. فمفهوم الاستعمال ذاته الموجود ضمنا في مفهوم إساءة الاستعمال تحيلنا حتماً إلى الغاية والتي هي صلب المستوى الثالث لمستويات سوء استعمال الذاكرة.

أما المستوى الثالث لمستويات سوء استعمال الذاكرة فيتعلق بالأخلاق والسياسة وعن اضطرابات ذاكرة تستحضر تعسفياً، حين يكون الاحتفال بالذكرى متناغماً مع إعادة التذكر؛ وهذا المستوى هو ما يدعوه ريكور بالذاكرة المأمورة أو الملزمة. من حيث إن" الشعور بواجب تنفيذ أمر لا يؤخذ كل معناه إلا بالنسبة إلى الصعوبة التي تواجهها مجموعة أهلية أو أجزاء جريمة من الجسم السياسي بأن تستعيد ذكرى هذه الأحداث بطريقة هادئة أو أجزاء جريمة" [9] وهنا يدخل الفرد في دائرة الصراع بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية، الذاكرة التاريخية، في هذه النقطة حيث تواجه الذاكرة الحية للباقيين على قيد الحياة النظرة الثاقبة والنقدية للمؤرخ، هذا إذا لم نقل شيئاً عن نظرة القاضي" [10] وهنا يتعدى واجب الذكرى المعنى الأخلاقي إلى السياسي من حيث إنه يتعلق بالعدالة، وارتباط الأخيرة بالسياسة، وبالذنب، والدين. وهو ما لا نهتم به في بحثنا هذا.

---

[1] - المصدر نفسه ص. 138
[2] - المصدر نفسه، ص. 138.
[3] -المصدر نفسه، ص. 138.
[4] -المصدر نفسه، ص. 138.
[5] -المصدر نفسه، ص. 139.
[6] -المصدر نفسه، ص. 140.
[7] كالمصدر نفسه، ص. 141.
[8] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص. 143.
[9] المصدر نفسه، ص. 145.
[10] المصدر نفسه، ص. 145.

بعد هذا الاستعراض لعلاقة الذاكرة بالتاريخ وتحديد مستويات سوء استعمال الذاكرة، يمكن أن نقول أن الذاكرة بالنسبة لريكور هي أساس ومعيار التاريخ حيث يخالف ريكور الرأي الذي يرى أن الذاكرة والتاريخ هما لحظتان متناقضتان؛ أي" لا يبدأ التاريخ إلا عندما ينتهي التراث؛ بمعنى الذاكرة، في اللحظة التي تنطفئ فيها أو تتحلل الذاكرة الاجتماعية"[1] بل ذهب إلى التأكيد على أنه" لم يعد التاريخ والذاكرة يساويان إلا واحداً، كان التاريخ ذاكرة تثبتنا صحتها"[2] صحتها"[2] وهو بهذا الرأي قد دخل في حوار مع التاريخ مخالفاً للرأي الذي كان سائداً في عصره، فالتداخل بين التاريخ والذاكرة أمرٌ لا مناص منه كما أكد ريكور.

ثانياً: الذاكرة واللغة:

إذا كانت الذاكرة أحدى المكونات الأساسية للوجود الإنساني، والحافظة الأولى للتاريخ فإنها لا يمكن أن توجد من دون اللغة، اللغة التي تسمح بإعادة سرد أحداث الماضي، وإعادة تشكلها في زمان ومكان مختلفين. ومن هنا تدخل العلاقة التي تربط الذاكرة باللغة عند ريكور حيزاً جديداً، حيث تقدم فهماً آخر للزمن، من خلال الحديث عن الزمن السردي وعلاقته بالتجربة الإنسانية والفعل الإنساني. وتالياً، فإذا كانت اللغة تتشكل في التاريخ، فهذا يعني أن ممارستها في تشكيل الذاكرة أيضاً هي ممارسة تاريخية. بمعنى، أن اللغة، كلغة، لا تتوقف عن التطور الداخلي والخارجي فقط، بل إن هذا التطور داخل التاريخ يفرض نفسه على علاقته بالذاكرة من خلال تمثيل الحدث واستحضاره، فاللغة في هذه الحالة ليست موضوعاً في التاريخ، إنما هي في الحقيقة ظاهرة ترتبط بتجربة المتكلم والمتحدث والسامع، لذلك فاللغة تساهم في عمل الذاكرة من خلال وساطتها السردية. وهذا السرد الذي يعتبره ريكور" وسيلة يستخدمها الناس للتعبير عن تجربة عدم نسيانهم الماضي، وأنه يجب أن يعيدوا الماضي للحياة من خلال إعادة تشريعه في القصص"[3]. الأمر الذي يجعل من التاريخ في هذه الحالة؛ أي من خلال إعادة تشكيله، رديفاً للأدب، في تسجيل الماضي وروايته. لذا يشرح ريكور في كتابه الذاكرة، التاريخ، والنسيان العلاقة بين السرد القصصي والسرد التاريخي، متجاوزاً الفهم التقليدي الذي يرى أن التاريخ وحده هو الذي يرسم ما حصل بالفعل، وإن السرد هو أداة معرفية، تساهم في معرفة ماذا حدث في الماضي، ليؤكد بعد ذلك على أن هذا الرأي" لا يبدو أنه يدخل ضمن الفكرة القائلة إن الشكل السردي يقوم، بما هو شكل سردي، بوظيفة معرفية" [4]. وحاول ريكور أن يقدم فهماً آخر للسرد وعلاقته بالزمن عندما أكد على أن السرد يمثل صورة من صور الضرورة السردية، ويتوفر السرد على معناه الكامل حين يصير شرطاً للوجود الزمني" [5] وهنا يؤكد ريكور صعوبة تعترض الفكر، هذه الصعوبة تتمثل في عدم قدرة الفكر الفصل بين الذاكرة والخيال. ويرجع ريكور هذه الصعوبة إلى الرؤية اليونانية للإشكالية، إذ يقول في كتابة الذاكرة، التاريخ، النسيان" يبدو أن أفلاطون كان متشدداً حول مفهوم الصورة التي تدل على ظاهرة حضور شيء غائب ترجعنا إلى زمن مضى ضمنياً"[6]. ويلاحظ ريكور هاهنا أن هذا الأمر "يُعيق الاعتراف بنوعية الوظيفة المزمنة الصدقية للذاكرة"[7].حيث نرى فيما فيما بعد أن ريكور قدم فكرته عن "قد كان" [8] اي الفكرة المتمثلة بالطابع الاصيل، الذي لا يمكن هدمه. أي الطابع

---

[1] - مجموعة من الباحثين. مجلة يتفكرون، العدد4، 2014، ص64

[2] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص. 151.

[3] - Dierckxsens, . The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and evil,p.43 Geoffrey

[4] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص. 364.

[5] - ريكور. الزمان والسرد، الحبكة، ص95

[6] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص34

[7] - المصدر نفسه، ص35

[8] - المصدر نفسه، ص. 719.

الاعتقادي السابق لكل سردية، والذي يتيح التحقق من صور الماضي. حيث يشرح أننا وصلنا فقط للماضي بشكل مباشر من خلال الذاكرة والخيال، وهنا يقول: إن الخيال يمكن أن يعيد بناء الماضي، وأيضاً أن نضيف إليه، بقدر ما يستقصيه الواقع الماضي"[1]. أي أن السرد القصصي يستعير بدوره جزءاً من الفعالية المرجعية من البداية عبر الآثار. حيث يمكن" للغة أن تتجه إلى ما وراء ذاتها. إذ إنها تقول شيئاً ما عن شيء ما" [2]. وهذه التجربة للغة تدخل ضمن طموح المتكلم في نقل تجربة جديدة إلى اللغة بحسب ريكور. إذ يقول ريكور في هذا الصدد" ولكوننا نعيش في العالم، ولكوننا نتأثر بالمواقف فيه، ولدينا تجارب وخبرات ننقلها للغة" [3] في الحقيقة إن نقل التجربة للغة هو الشرط الوجودي للإحالة؛ أي أن الفكرة الكاملة عن تذكر الماضي هي نقله لأجيال المستقبل. إذا كنا مسؤولين عن استدعاء الحوادث والوقائع في الماضي، فإن ذلك ليس ببساطة بسبب فضول التاريخ، بل من أجل منع هذه الحوادث من تكرار نفسها في المستقبل أيضاً. وفي هذا السياق يتساءل ريكور أليس كل سرد يروى وكأنه حدث فعلاً؟ ومن هنا يرى ريكور إن كل من القصص والتاريخ مكملان لبعضهما، حيث " يستعير القص من التاريخ، بقدر ما يستعير التاريخ من القص" [4]. فالسرد يعد وسيلة يستخدمها الناس للتعبير عن تجربة عدم نسيانهم الماضي وأنه يجب أن يعيدوا الماضي للحياة من خلال إعادة تشكليه في القصص. وهنا تتخذ اللغة معنى البعد الاخباري للذاكرة، أي كفعل خطاب إلا إن ريكور يلاحظ إن "أفعال الذاكرة الاخبارية يمكنها هي أيضاً أن تنجح وأن تفشل" [5] خاصة إذا أخذت صفة الأمانة للماضي، وهنا يربط ريكور اللغة بالتأويل من حيث إنها تملك القدرة على العمل والهيمنة وتأويل أحداث الماضي بما يخدم سلطتها الايديولوجية. وهنا" تكشف ممارسة اللغة على إنها موضع تلك التشويهات النسقية التي تقاوم الفعل الصحيح التي تطبقه فيلولوجيا عامة

(هي ما يبدو أن التأويلية ستصير إليها في التحليل الأخير) على حالات سوء الفهم البسيطة المتأصلة في استخدام اللغة، بمجرد فصلها اعتباطياً عن الأوضاع الاجتماعية لاستعمالها" [6] هذا يعني إن اللغة تدخل في إعادة صياغة التاريخ وفق الفعل السردي، والذي هو بالأصل ذو طابع انتقائي يساهم بشكل أو بآخر في إعطاء الفاعلية للموروث بوصفها انصهاراً لفكرتي الدين والتراث.

ثالثاً: إرادة النسيان: الذاكرة بوصفها مشروعاً للمستقبل:

يبدو إن النسيان والتذكر كما أشار ريكور، نشاطات تلقائية تصيب الإنسان. وتالياً تعد حتمية ومن غير الممكن التحكم بها، إلى حد ما، على الأقل في رؤية ريكور حول" صفة الذاكرة بأنها تظهر كإيقاظ عفوي، وبالتالي كرثاء"[7] رغم ذلك لا يمنح البشر بعضهم حق نسيان أحداث معينة ـ بشكل حتمي ـ كما تؤكد فكرة العفو العام. حيث إنهم يمرون أيضاً بالتزام الاحتفاظ بأحداث معينة يجدون أنه يجب تذكرها. لذلك فإن الجدلية بين النسيان والتذكر كانت دوماً حاضرة في الفكر الفلسفي بحيث كان الاعتراف بالذاكرة مقابل الحط من النسيان واعتباره نتيجة عطل يصيب عمل الذاكرة. ولذا فقد ذهب ريكور في توظيف جدل العلاقة بين الذاكرة والنسيان من خلال المفارقة التي عبَّر عنها

---

[1] ـ ريكور. الزمان والسرد، الحبكة، ص142

[2] ـ ريكور. الزمان والسرد، الحبكة، ص133

[3] ـ ريكور، بول. *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006،ص.50.

[4] ـ ريكور. الزمان والسرد، الحبكة، ص142

[5] ـ ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص. 714.

[6] الزمن المروري، ص340

[7] [7]- The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and evil,p.43 . Dierckxsens, Geoffrey

القديس الأوغسطين عندما تحدث هذا الأخير قائلاً:" كيف يمكن الحديث عن النسيان إن لم يكن تحت أمارة ذكرى النسيان كما تسمح بذلك وتؤكده عودة الشيء المنسي والتعرف إليه" [1] بمعنى إن النسيان من المفترض أن يكون خاضعاً لوعي الفرد وإلا كيف يمكن له أن يعرف أنه نسي. وتالياً، لا يمكن الحديث عن النسيان إن لم يظهر لنا كذكرى أولاً وأن نكون على وعي به. لذلك يربط ريكور النسيان بالوجود، كما أن الذاكرة ارتبطت بالوجود أيضاً. إذ يقول "أنا أتذكر فإذن أنا موجود، وأنا أنسى فإذا أنا موجود"[2]. وهنا يغدو الحديث عن الذاكرة في فكر ريكور كمشروع . هذه الذاكرة التي تملك القدرة على" أن تستعيد زمام الأمور وتتقدم على تاريخ المؤرخين. ذلك أن الذاكرة هي دوماً ذاكرة من له مشاريع" [3]. وريكور هنا يغير وجهة البحث في موضوع الذاكرة. من ذاكرة الاعتراف بالماضي إلى التبشير بالذاكرة كمشروع للمستقبل، وذلك عبر تقديم فهم آخر للزمان كما ذكرنا. حيث أكد ريكور أكثر من مرة في كتبه، على أن الأمور قد تغيرت كثيراً في مسار عمل الذاكرة، عما كانت عليه من قبل، فلم يعد الأمر يقتصر فقط على عملية استدعاء الماضي، بما في ذلك أعمال العنف الذي تحيط بالوجود ومن ثم استدعاء حتى ضحايا المؤسسات في الماضي. بل أن المعركة أصبحت تخاض اليوم ضد الجحود وإرادة النسيان، ضد استدعاء العنف تجاه الآخرين، الذين يعدون ضحايا الماضي، وبشكل خاص ضحايا العنف المؤسساتي، أي العنف الذي يحصل عن طريق السلطة والحروب والقانون. يشرح ريكور ذلك بقوله " إن الماضي المكبوت ينفجر على الشاشة مطالباً بإلحاح تذكر على لسان شهود جاؤوا من خلال عالم يقولوه وزلات لسانهم؛ هناك بُعد قد نسي: المعاداة للسامية الدولة ذات التقليد الفرنسي" [4]. فالنسيان بحسب ريكور ليس جهلاً كما ذهب افلاطون في تحديد الجهل بالنسيان وبالتالي فهو ليس عدواً للمعرفة أو للذاكرة بل هو تعبير عن حالة صحية يمكن أن تصيب الناس بشكل دائم. فالذاكرة تقف دائما في حدود مع النسيان في هذا الصدد يقول ريكور:" النسيان نعيشه أولاً وبكل ما أوتينا كطعن في وثوقنا بالذاكرة. طعن، ضعف، نقص. إنه الذاكرة، بهذا الصدد تحدد نفسها، على الأقل في الفترة الأولى على إنها صراع ضد النسيان"[5]. وبهذا فإنه لكي يتم التعبير عن الذاكرة الذاكرة بشكل تام وتحقق تلمسها الصحيح والمتوازن، عليها أن تدخل في مفاوضة مع النسيان. بل أكثر من ذلك يرى ريكور" كما إن الانتظار غير ممكن من دون واحد ينتظر، كذلك فإن الذكرى غير ممكنة إلا على أساس النسيان وليس العكس"[6]. لذلك يتساءل ريكور هل الذاكرة من دون نسيان هي الهوام الأخير، الصورة الأخيرة لهذا التفكير الشامل الذي الذي نلاحقه في كل سجلات تأويلية الوضع التاريخي؟[7] يجيب ريكور عن هذا السؤال عندما يجد أنه علينا أن نميز بين بين المقاربة المعرفية والمقاربة البراغماتية للذاكرة حيث يقول ريكور إنه " في المقاربة الأولى، فهمنا الذاكرة بحسب طموحها في أن تمثل بأمانة الماضي، أما في الثانية، فقد اهتمت بالناحية العملانية للذاكرة، ممارستها التي هي فرصة فن الذاكرة، وكذلك الاستعمالات واساءات الاستعمال التي حاولنا تعدادها بحسب مقياس خاص" [8]. وهنا وبحسب ريكور لا يتوافق فهم النسيان مع الفكرة التقليدية التي دأب عليها الفلاسفة منذ افلاطون ووصفه بأنه عامل ضعف وتآكل يصيب الذاكرة ؛أو نتيجة تناهي الإنسان أي تجربة الشيخوخة، أو الاقتراب من الموت. بل إن النسيان عند ريكور

[1] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص67
[2] - المصدر نفسه، ص15
[3] - ريكور، بول. *الاعتقاد والانتقاد*، (مصدر سبق ذكره)،ص40.
[4] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص652
[5] - المصدر نفسه، ص603
[6] - المصدر نفسه،، ص641
[7] - المصدر نفسه، ص603
[8] - المصدر نفسه، ص604

يدعونا لقراءة جديدة للإشكاليتين التي ذكرناهما سابقاً ؛أي المقاربة المعرفية والمقاربة البراغماتية؛ وذلك من خلال مقاربة جديدة ومبدأ جديد للتمييز هو ما يدعوه ريكور" بمبدأ مستوى العمق والظهور" [1]، أي فكرة العمق التي يتيح لفينومينولوجيا الذاكرة أن تماثلها بالمسافة والابتعاد على المستوى الافقي من ناحية تمثيل الماضي، وتتيح بالتالي على الصعيد الوجودي شيئاً شبيهاً بالنزول إلى الهاوية أي إلى المستوى العمودي، وفي هذا السياق يكتب ريكور " إن النسيان هو التحدي بامتياز المعارض لطموح الوثوق بالذاكرة"[2]. فالأمر هنا يتعلق إذن بجدلية الحضور والغياب، في قلب تمثيل تمثيل الماضي، بين الشعور الخاص بالذكرى الحاضرة والغياب المحض للصورة.

وهنا نرى أن ريكور وفيما يخص النسيان قد ميز بين صورتين للنسيان العميق الصورة الأولى النسيان عن طريق محو الآثار، ونسيان الاحتياط"[3] ففي الصورة الاولى للنسيان تميل نحو فكرة النسيان النهائي؛ في حين إن الصورة الصورة الثانية هو النسيان الذي يستعاد، أو الذي لا ينسى. هذين الصورتين للنسيان يتداخلان فيما بينها من أجل الوصول إلى ذاكرة عادلة، ذاكرة سعيدة.

فالنسيان بحسب ريكور هو بحر من الأفق الدائم الذي لا يتحدد فيها الموجودات إلا باعتبارها توازناً ظرفياً عابراً بين قوى في فعل مستمر، وفي هذا التداخل يرى ريكور " إن نمط النسيان يفتح الوجود الذي كان أولاً الأفق فيداخله الضائع في ال خارجانية ما ينهم به فيستطيع أن يتذكر ثانية" [4]. وهنا يشير ريكور إلى الدلالة الايجابية للنسيان وذلك من خلال علاقتها بالوجود وفكرة "السبق" و" عاد"، أي بين أفق التطلع والانتظار وفضاء التجربة. وإن كان العالم هو هذا فإن التفكير في زمن العالم بمنطق التتالي والتكرار، وبمفاهيم الماضي والحاضر والمستقبل"؛ أي تصوره باعتباره خطأ تراكمياً يتقدم بخطوات منضبطة هادئة نحو غاية. فالعنصر الأنسب للفهم ليس الوعي التاريخي كما ذهب هيدغر، بل يصبح حينها هو الصيرورة. أي " الزمن الذي يناسب العالم المحكوم بإرادة القول هو زمن الصيرورة" [5] الصيرورة البريئة التي لا تحمل معنى قبلياً ولا أي قابلية للتكرار، ولا يبقى التاريخ تذكراً لأجل التذكر نفسه، بل بحسب ريكور" عن طريق تحويل الذاكرة إلى مشروع. إن كانت الصدمة تحيلنا إلى الماضي فإن القيمة المثالية توجهنا نحو المستقبل. والحال أن تقديس الذاكرة من أجل الذاكرة، حين تستهدف المستقبل، يعطل تماماً مسألة الغاية، مسألة الرهان الأخلاقي"[6]. إن محاولة ريكور هنا هي في سبيل نزع الطابع القدري عن الماضي أو التموضع في نفس سياق صناع التاريخ الذين كانوا يملكون حينها مستقبلاً" [7] هنا يغدو التاريخ سياسة للتذكر، أو أن صح القول سياسة للنسيان. ويصبح الفكر التاريخي ابداعاً لممكنات هذه السياسة، وفي هذه الحالة الوفاء للحاضر لا يظهر إلا من حيث خيانة الماضي، بل يذهب ريكور إلى أبعد من ذلك حيث الوفاء للحاضر يتمثل في عدم فهمنا للحاضر والمستقبل. إذ يكتب ريكور" إنه من الواجب أن تموضع الذاكرة والتاريخ في قلب العلاقة بين أفق الانتظار وفضاء التجربة. يبقى أن الذاكرة هي التي تطل برأسها على المستقبل فيما يؤول التاريخ شطراً من الماضي وينسى أنه قد كان لنا مستقبل"[8].

---

[1] - المصدر نفسه، ص604
[2] - المصدر نفسه، ص604
[3] - المصدر نفسه، ص605
[4]- ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص461
[5] - التاريخ والخقيقة، ص 82
[6] ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص644
[7] ريكور، بول. *الاعتقاد والانتقاد*، (مصدر سبق ذكره)،ص 40
[8] المصدر نفسه، ص 40

أما الرهان فيما يخص علاقة الذاكرة بالتاريخ، بالنسبة لريكور، ليس هو في اضطرار التكرار كما رأى فرويد، ولا الأرشفة بغية تمجيد الذاكرة، بل هو التساؤل إلى أي حد يمكن للنسيان أن يكون مانحاً للحياة؟ وتالياً بوصفه مشروعاً للمستقبل؟ فالنسيان ممارسة مرعبة على مستوى الذاكرة الجماعية أي التاريخ، بحيث لا يمكن للتاريخ أن يخضع لمثل هذا النسيان. لذلك يذهب ريكور إلى التأكيد أنه إذا كان النسيان على مستوى الذاكرة الجماعية أمر خطير ولا يمكن أن يتحقق إلا من خلال نقل التقاليد من زمن إلى آخر. فإن الأمر يمكن أن يكون ايسر على مستوى الذاكرة الشخصية، لذلك يرى ريكور إن اسقاط النسيان على المستقبل لا يمكن أن يكون بصيغة الأمر. لأنه في هذه الحالة يأخذ" عملية شيئية بالنسبة إلى النسيان وإلى الذاكرة على حد سواء" [1]. في هذه الحالة يأخذ النسيان شكل المسؤولية. مسؤولية للنسيان، كما أن هناك مسؤولية للتذكر. فنحن هنا مسؤولون ومطالبون بإنتاج ذاكرة للمستقبل، ذاكرة للإرادة بدلاً من أن نظل حبيسي إرادة الذاكرة. نحن مسؤولون عن ابداع ذاكرة حيوية تنسى وتمحو، ذاكرة تسمح بالصفح والعفو والغفران، ولا تسمح بالانتقام والرثاء، لأنه في هذه الناحية يساء استعمال النسيان والتي بحسب ريكور تشكل مثيلا لإساءات استعمال الذاكرة"[2]. لذا يذهب ريكور إلى الحديث عن شكل آخر للنسيان. هذا النوع من النسيان هو ما يسميه ريكور بالنسيان الفعال " الموسوم بالانتقائية، هو يُتيح بناء التاريخ" [3] بحسب تعبير ريكور. هذا النوع من النسيان لا يعني به ريكور نسيان الوقائع، بل نسيان الدّين. وفي هذا السياق ينبه ريكور على ضرورة استعمال وفهم معنى الصفح بمعناه الواضح بحيث" لا يتحول إلى حد المطلب أو الدعاء: لكن كيف؟ هل تمانعون في الصفح عني؟ المفهوم الأول هنا هو الطلب، وكل مطلب للصفح لا بد أن يقوى على مجابهة الرفض، أي لا يقبل الصفح. وعلى غير هذا الوجه لن يكون له معنى"[4]. وتالياً، فالصفح كما يحدده ريكور يجب أن يسمح بإعادة بناء الذاكرة على طريقة التحليل النفسي التي التي تسمح للمريض أن يغيد بناء ذاكرة معقولة ومقبولة. وفي هذا السياق يرى ريكور أن" الصفح يحطم الدّين ولا يؤدي إلى النسيان"[5]. وتالياً لا يعود النسيان نقصاً، بل هو تملك الحرية تجاه العالم، ويؤكد ريكور أنه عندما نصل إلى هذا الفهم الفاعل في العلاقة بين الذاكرة والنسيان يتوقف الأخير عن أن يكون نقصاً ليصبح مرادفا للعافية الفكرية. وهذا ما يتحدث عنه ريكور ويسميه " بالذاكرة المتأملة" ومعنى التأمل هنا بحسب ريكور هو " وجود فكر في الحد الأقصى، فكر يتأمل في الهلاليين المزدوجين اللذين لا يمكن تجنبهما واللذين يحيطان بكلمة الذكرى المحضة"[6] وهنا يعود ريكور ليؤكد ليؤكد على أن النسيان ليس فقط حاجة ضرورية لتجاوز الماضي بل يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد على أن" النسيان قوة متأصلة في قدرة تشكيل إنسان أو شعب أو ثقافة. أعني قدرته على تنمية نفسه على نحو متميز، محولاً ومدمجاً كل ما هو ماضي وغريب، على تضميد الجراح على استبدال ما ضاع وجبر ما كسر من ذاته" [7]. فعن طريق النسيان يبقى الكائن الحي معافى وقوي. فالنسيان قوة، والذاكرة واجب. وكلاهما يساهمان في إعادة تشكيل التاريخ، إعادة النبض والفاعلية للحياة. وإعادة بناء الإنسان نفسه. وهذا ما توصل إليه بول ريكور في نهاية كتابه الذاكرة

[1] ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص629
[2] المصدر نفسه، ص. 722
[3] - ريكور، بول. *الاعتقاد والانتقاد*، (مصدر سبق ذكره)،ص 41
[4] ريكور، بول. *الاعتقاد والانتقاد*، (مصدر سبق ذكره)،ص 42
[5] المصدر نفسه، ص 42
[6] - ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص632
[7] - الزمان المروري، ص356

والتاريخ والنسيان، بلغة شعرية عندما كتب بالحرف: "تحت التاريخ، الذاكرة والنسيان. تحت الذاكرة والنسيان، الحياة. غير إن كتابة الحياة قصة أخرى، تاريخ آخر. اللانتهاء، اللانجاز"[1]

الاستنتاجات والتوصيات:

الذاكرة عند ريكور هي تلك المعجزة الصغيرة. المعجزة التي يتداخل ضمنها عمل الذاكرة مع واجب الذاكرة. الأمر الذي يقتضي إعادة النظر فيها لا بوصفها تمثل الاعتراف بالماضي، بل النظر إليها بوصفها مشروعاً للمستقبل. إذ يؤكد ريكور على استحالة فصل الذاكرة عن المشروع. وتالياً، عن المستقبل. إننا وبحسب ريكور، دائما أمام استحضار أنفسنا والرغبة في التعبير عن معنى من خلال كل ما حدث لنا ورسم التوقعات والاستباقات من خلال النوايا، من أجل التخطيط للأفعال الإرادية التي هي مشاريع دائما وأشياء للإنجاز. لذلك رأى ريكور أن التاريخ والذاكرة ليسا منفصلين بل عمد ريكور إلى تحقيق التشابك والتداخل بينهما من خلال الحوار الذي أقامه ريكور بين التاريخ والذاكرة إضافة إلى إنه أصر على التمييز بين طموحين للذاكرة، ينطلق كل منهما من طبيعة مختلفة ؛أي التميز بين الحقانية بالنسبة للتاريخ، والوفائية بالنسبة للذاكرة. مع تبيان الاحتراس المفروض من عواقب الذاكرة التي تؤدي إلى تقديس وضعية التاريخ. إضافة إلى ذلك فقد أدرج ريكور هذا التداخل بين الذاكرة والتاريخ واللغة ضمن فينومينولوجيا الإنسان القادر" الأنا القادر" التي تملك القدرة على التذكر، والنسيان، ومعرفة الصفح وبالتالي العفو والغفران.

المصادر والمراجع:

1. ريكور، بول. *الذاكرة، التاريخ، النسيان*. ط1، ت: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2009، 760 صفحة.
2. ريكور، بول. *الزمان والسرد، الحبكة والسرد التاريخي*. ط1، ت: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، ج 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2006، 424صفحة.
3. ريكور، بول. *الزمان والسرد، الزمان المروري*. ط1، ت: سعيد الغانمي، ج 3، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2006، 528صفحة.
4. ريكور، بول . *الذات عينها كآخر*. ت: جورج زيناتي، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، 719صفحة.
5. ريكور، بول . *الاعتقاد والانتقاد* ، ط 1، ت: حسن العمراني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، 2011، 118صفحة.
6. ريكور، بول . *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى* . ط 2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، 148صفحة
7. دوس، فرانسوا. مفاتيح معاصرة في فهم الذاكرة والتاريخ. ودور الاعتراف في ترتيب علاقة الذات بالأخر، حوار مع فرانسوا دوس. حاوره محمد شوقي الزين، مجلة يتفكرون، العدد4، 2014، 337صفحة.
8. م. من الباحثين. التاريخ والحقيقة. ، مجلة يتفكرون، العدد3، 2014، 116 صفحة.

[1] - **ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان،(مصدر سبق ذكره)، ص. 729.**

9. Dierckxsens,Geoffrey. The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and Evil, University of Antwerp, http://ricoeur.pitt.edu ,p20